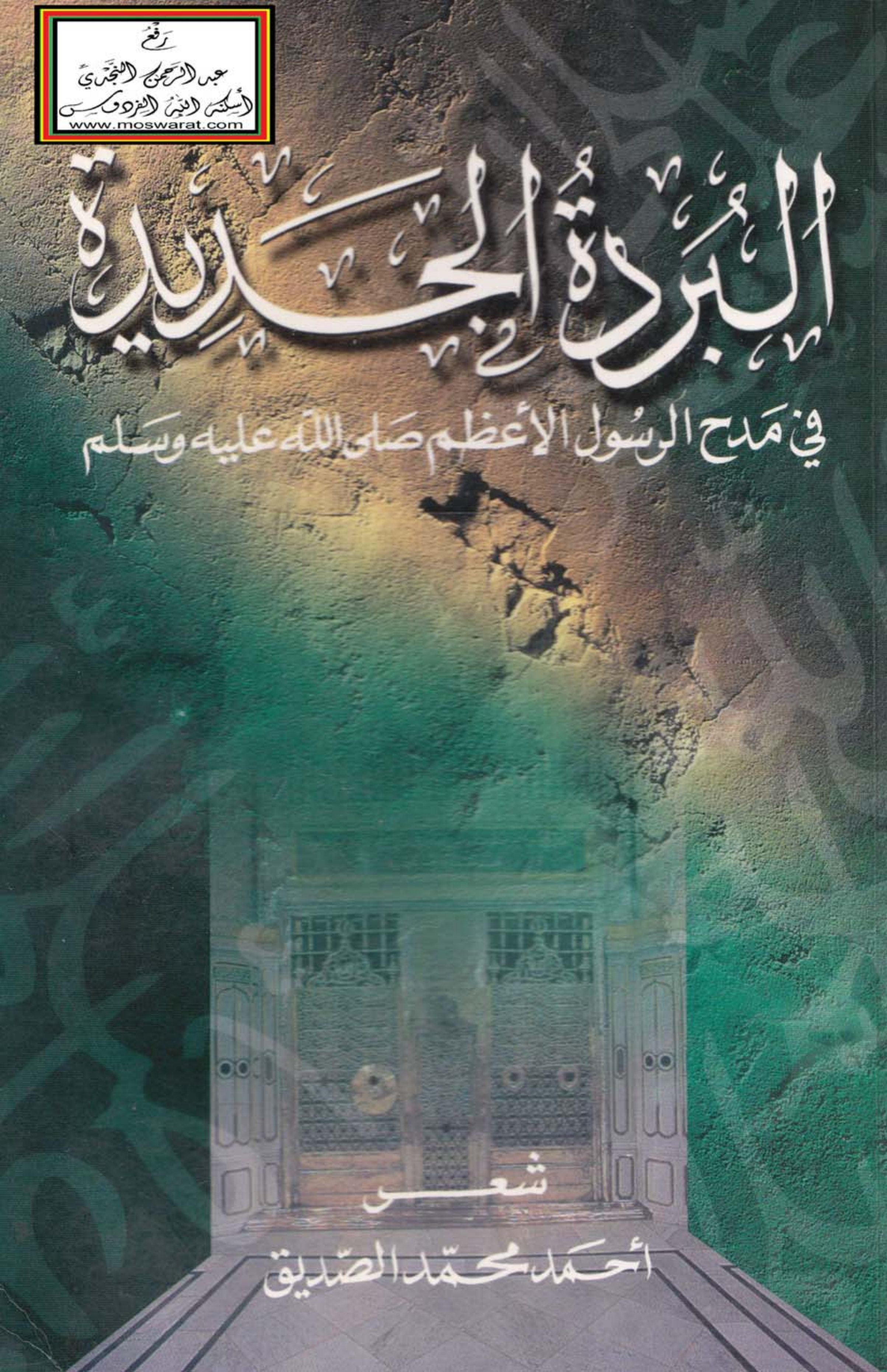

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
البردة الجديدة
في مدح الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم
شعر
أحمد محمد الصديق


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

البردة الجديدة

في مدح الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم

البردة الجديدة

في مدح الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم

شعر
أحمد محمّد الصّديق

صدر للشاعر

١ ـ نداء الحق .
٢ ـ الإيمان والتحدي .
٣ ـ قادمون مع الفجر .
٤ ـ قصائد إلى الفتاة المسلمة .
٥ ـ جراح وكلمات .
٦ ـ هكذا يقول الحجر .
٧ ـ طيور الجنة .
٨ ـ أناشيد للصحوة الإسلامية .
٩ ـ أناشيد للطفل المسلم (١ - ٣) .
١٠ ـ ملحمة الشيشان .
١١ ـ يا سراييڤو الحبيبة .
١٢ ـ هو اللّه .

٨١١,٦ أحمد محمد الصديق

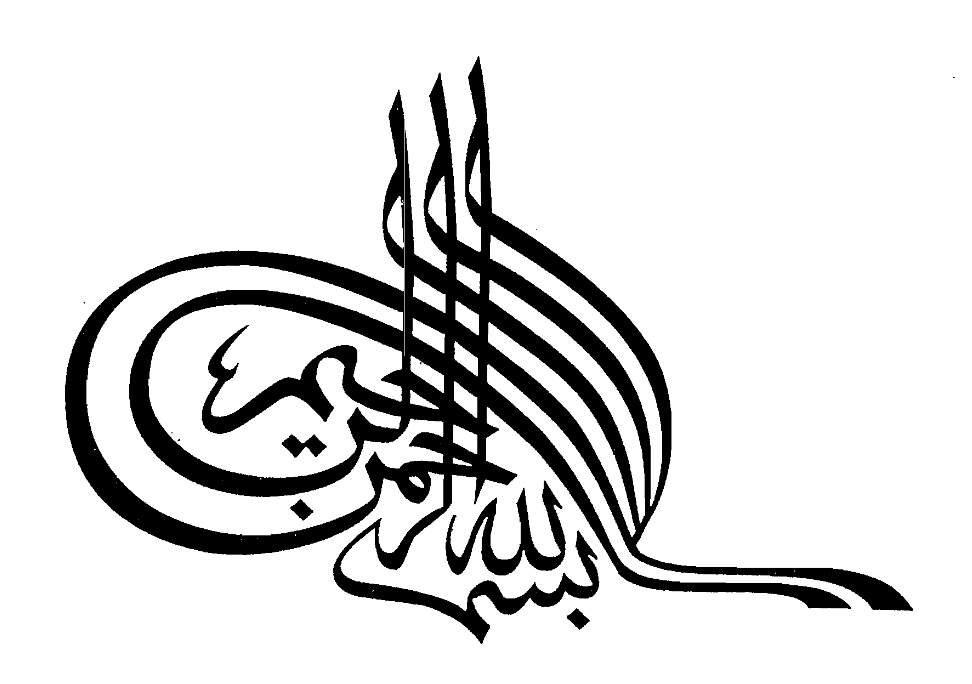
البردة الجديدة في مدح الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم/ تأليف أحمد محمد الصديق. -- الدوحة: المؤلف، ٢٠٠١.

٨٠ص ؛ ١٨سم

رقم الايداع بدار الكتب القطرية : ٧٠ / ٢٠٠١

الرقم الدولي الموحد للكتاب: ١ - ٦٦ - ٦٧ - ٩٩٩٢١

رقم الايداع بدار الكتب القطرية
٧٠ / ٢٠٠١م


بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

البردة في اللغة كساء مخطط تجمع على بُرْد وبُرَد. هكذا قال في الوسيط. ولكن وجدت في مصادر أخرى مثل مختار الصحاح أنها تجمع أيضًا على برود وأبراد، وأن المفرد بُرْد وبردة. وفي صحيح البخاري باب سماه (باب البرود) ومن أحاديث هذا الباب قول عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ حين توفي سُجِّي ببردة حِبَرَة. قال الجوهري: الحبرة بوزن عنبة بُرْد يمانٍ، وأضاف آخرون بأنها موشاة مخططة لونها أخضر لأنها لباس أهل الجنة، تصنع من قطن. وكانت أشرف الثياب عندهم. وقال القرطبي: سميت حِبَرَة لأنها تحبر أي تزين، والتحبير هو التزيين والتحسين. وفي حديث سهل بن سعد قال: جاءت امرأة ببردة (قال سهل: أتدرون ما البردة؟ هي الشملة منسوج في حاشيتها) قالت: يارسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسوكها. فأخذها رسول الله ﷺ محتاجاً إليها (إلى آخر الحديث في البخاري).

وقد استعار البوصيري هذا اللفظ عنواناً لقصيدته الميمية التي مدح بها رسول الله ﷺ، والتي ذاعت وانتشرت على أوسع نطاق .. ولعل سبب شهرتها هو جودتها من الناحية الفنية حيث بلغت في ذلك القمة

وحفلت بالمعاني الجديدة المبتكرة .. والعاطفة الجياشة التي تدل على الصدق والإخلاص .. ولقد تداولها المتصوفة حفظًا وإنشادًا وترديدًا في مختلف المناسبات، فكان ذلك أيضاً من أسباب ذيوعها وسعة انتشارها . وهي تبتديء بمقدمة غزلية على عادة الأقدمين .. وفي مطلعها يقول البوصيري :

أمن تذكر جيران بذي سلَمِ مزجت دمعاً جرى من مقلة بدمِ

وقد توالى الشعراء على معارضتهم لهذه القصيدة بوزنها وقافيتها وموضوعها .. ولعل أشهر هذه المعارضات قصيدة الشاعر أحمد شوقي التي يقول في مطلعها :

ريم على القاع بين البان والعلمِ أحل سفك دمي في الأشهر الحرم

وقد أجاد شوقي إجادة البوصيري .. وكلاهما بلغ الغاية في الإبداع الفني من شتى الجوانب .. سواء في الصياغة اللغوية أم المعاني البديعة أم العاطفة الدينية المتأججة أم الخيال المجنح والصور الشعرية الرائعة ... التي تحلق بالقاريء إلى آفاق رحبة من سمو الروح وطهارة الوجدان وقوة التأثير في حب رسول الله ﷺ والتغني بفضائله وشمائله ومكارم أخلاقه وعظمة رسالته التي أرسله الله بها هدى ورحمة للعالمين..

والسؤال الذي يطرح نفسه : لماذا اختيار اسم (البردة) بالذات

وإطلاقه على قصيدة البوصيري .. وعلى معارضاتها من قصائد الشعراء الآخرين الذين جاءوا من بعده؟! ولبيان ذلك نقول :

لقد نشأت هذه العلاقة بين (البردة) وبين قصائد المديح النبوي منذ أن خلع النبي ﷺ بردته على الشاعر (كعب بن زهير) حين قال :

إن الرسول لنور يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول

وقصة ذلك معروفة من خلال المراسلات الشعرية التي تمت بينه وبين أخيه (بُجَيْر) الذي سبقه إلى الإسلام، ونصحه بالاعتذار إلى النبي ﷺ عن هجائه له في شعره، والتوبة عما بدر منه، والدخول في دين الله .. فجاء زهير إلى المدينة متنكراً ليعمل بنصيحة أخيه، واستجار بأبي بكر وقيل برجل يعرفه من جهينه، فأتى به المسجد وهو متلثم بعمامته في صلاة الفجر، فوضع يده في يد رسول الله ﷺ وقال : إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبًا مسلما، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ قال عليه الصلاة والسلام : نعم. قال كعب : أنا يارسول الله كعب بن زهير . وفي رواية : هذا مقام العائذ بك يارسول الله ، أنا كعب بن زهير. فتجهمته الأنصار وغلظت عليه، ولانت له قريش وأحبوا إسلامه وإيمانه . فأمنه رسول الله ﷺ، ولكن كعبًا وجد في قلبه على الأنصار .. ثم ذهب ما وجد حيث مدحهم بعد ذلك بإيعاز من رسول الله ﷺ تأليفًا للقلوب وتطييبًا للنفوس. وكان كعب قد أعدّ قصيدة طويلة ليلقيها بين يدي

رسول الله ﷺ يمدحه فيها ويعتذر له .. ويشيد بأصحابه ويذكر خوفه وإرجاف الوشاة به .. وقد أذن له النبي ﷺ بإلقائها، فأنشدها بحضرته داخل المسجد .. وفي مطلعها يقول :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيم إثرها لم يُفْدَ مكبول

ثم يقول بعد مقدمة من الغزل العفيف .. ووصف ناقته بأسلوب شعري رفيع :

نبئت أن رسول الله أوعدني   والعفو عند رسول الله مأمول

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ   ـقرآن .. فيها مواعيظ وتفصيل

لاتأخذنّي بأقوال الوشاة ولم   أذنب ولو كثرت فيّ الأقاويل

إن الرسول لنور يستضاء به   مهند من سيوف الله مسلول

فابتهج الرسول ﷺ وخلع بردته على كعب عندما وصل إلى هذا البيت، دلالة على إعجابه بما سمع وارتياحه له .. وأصبحت تلك البردة كأنها وسام شرف على صدر الشعر الإسلامي بل تاج على جبين هذا الشعر الذي يمجد فيم الإسلام ويمدح الرسول عليه الصلاة والسلام ويدعو إلى الخير والفضيلة ويتغنى بأمجاد هذا الدين العظيم ومآثره ويحض على الجهاد في سبيله والاستمساك بحبل الله المتين..

ومن هنا نشأت العلاقة بين البردة وبين شعراء المديح لشخص الرسول صلوات الله وسلامه عليه .. على أن قصيدة كعب لم يطلق عليها اسم البردة رغم هذا السبب الذي ربط بينها وبين تلك البردة النبوية .. وظلت البردة بعد ذلك (رمزا) أكثر منها مجرد كساء .. ولذا فإن معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - حاول أن يشتريها من كعب بعشرة آلاف درهم فأبى .. فلما مات اشتراها معاوية من ولده بعشرين ألف درهم وقيل بثلاثين .. من أجل أن يحتفظ بهذا الرمز في حوزته .. كخليفة للمسلمين .. وظل الخلفاء من بعده يتوارثوها بعضهم من بعض .. الأمويون منهم ثم العباسيون ومن جاءوا في أعقابهم .. يرتدونها في الأعياد، وقد وصلت إلى سلاطين آل عثمان .. ويقال إنها محفوظة الآن في متحف (توب قوبي) في اسطمبول مع جملة من الآثار الإسلامية النفيسة ..

والذي يهمنا في مقامنا هذا أن أحداً من الشعراء لم يتنبه إلى ذلك الرمز فيتخذه عنوانًا لقصيدة من قصائده في مدح الرسول ﷺ حتى جاء الشاعر الفقيه شرف الدين أبو عبد الله البوصيري في القرن السابع الهجري (٦٠٨-٦٩٦هـ) فكتب قصيدته الميمية التي أشرنا إليها وسماها (البردة) وتحت العنوان عبارة (الكوكبة الدرية في مدح خير البرية ﷺ) وقد أُخذ على البوصيري غلوّه في مدح الرسول ﷺ ..

ومن أبياتها قوله :

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال مقتحمِ
دعا إلى الله فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منفصمِ
فاق النبيين في خَلْق وفي خُلُق ولم يدانوه في علم وفي كرمِ
كأنه وهو فرد من جلالته في عسكر حين تلقاه وفي حشمِ
أبان مولده عن طيب عنصره ياطيب مبتدإٍ منه ومختتمِ

ويتحدث البوصيري عن النفس فيقول :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطمِ
فخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتّهمِ

وقد أشرنا من قبل إلى قصيدة الشاعر أحمد شوقي التي سماها (نهج البردة) ويسير فيها على خطى البوصيري حيث يبدأ بمقدمة غزلية، ثم يعرّج على نفسه فيتهمها بالتقصير والانغماس في المعاصي ويلومها على ذلك لومًا شديداً .. ثم يستخلص من ذلك هذه الحكمة الخالدة وهي قوله :

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه فقوم النفس بالأخلاق تستقم

ثم يقف على باب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه كمدخل للشروع بالمدح والثناء فيقول :

لزمت باب أمير الأنبياء .. ومن ... يمسك بمفتاح باب الله يغتنم

محمد صفوة الباري ورحمته ... وبغية الله من خَلْق ومن نسم

ونودي (اقرأ) تعالى الله قائلها ... لم تتصل قبل من قبلت له بفم

جاء النبيون بالآيات فانصرمت ... وجئتنا بحكيم غير منصرم

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم ... إلا على صنم قد هام في صنم

أسرى بك الله ليلاً إذ ملائكه ... والرسل في المسجد الأقصى على قدم

لما خطرت به التفوا بسيدهم ... كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم

ثم يتحدث عن المعراج فيقول :

جُبْتَ السموات أو ما فوقهن بهم ... على منوَّرة درية اللجم

حتى بلغت سماء لا يطار لها ... على جناح ولايسعى على قدم

وقـيل : كل نبي عند رتبته ... ويامحمد هذا العرش فاستلم

وينوه شوقي بفضل البوصيري فيماسنّ من سنّة حسنة للشعراء الذين نسجوا على منواله وقدموا للناس عدداً من البرد الشعرية في مدح

المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، فيقول في تواضع وأدب :

الله يشهد أني لا أعارضه   من ذا يعارض صوب العارض العرمِ؟

وإنما أنا بعض الغابطين ومن   يُغبط وليَّك لايُذمَمْ ولايُلَمِ

ومن أبرز من عارضوا البوصيري إضافة إلى أحد شوقي الشاعر :

محمود سامي البارودي والكاتب الشاعر علي أحمد باكثير .. ولايتسع المقام بعد الذي ذكرناه للحديث عن معارضة هذين الشاعرين .. لأنني بصدد كتابة مقدمة لا دراسة مقارنة .. فذلك له مجال آخر من الدراسات الأدبية.

* * *

وبعد،

فأجدني الآن مضطراً للحديث عن قصيدتي التي أضعها بين يدي القاريء .. وقد شاء الله لي أن ألتحق بركب أصحاب «البُرَد» على قصوري عنهم .. وقد أسميت قصيدتي (البردة الجديدة) وليس هناك من تعليل لهذه التسمية إلا كونها جديدة .. فأنا لا أزعم أنها جاءت بجديد .. رغم أن كل قصيدة من البرد لابد أن تختلف عن الأُخريات في معظم الجوانب إن لم تكن كلها .. ولا يؤلف بينها إلا وحدة الموضوع والوزن والقافية .. والمنهج العام الذي يتلخص بمدخل من الغزل العفيف، ثم

معاتبة النفس وزجرها عن المعاصي .. ثم المديح .. الذي يختم بالدعاء والصلاة على النبي ﷺ .

إلا أني تناولت في البردة الجديدة موضوعات أخرى من السيرة النبوية العطرة وإشارات إلى بعض الصحابة رضوان الله عليهم مكتفياً بإبراز العبرة التي تستفاد من أبرز مواقف كل منهم .. مع إضاءات كاشفة يقتضيها السياق وتستدعيها معايشة الأحداث وقراءة ما تنطوي عليه من المعاني والأسرار والرموز، مع الحرص على مراعاة الترابط العضوي في بناء القصيدة والانتقال في معارج السيرة من أفق إلى آخر .. في غير ماعَنَتٍ ولا مشقة ولا تكلف.

وقد راودتني فكرة كتابة السيرة النبوية شعراً للأطفال .. منذ مدة ليست بالقصيرة .. إلا أن شيئا ما جدّ أثناء ذلك لم يكن في الحسبان، وهو رغبة الشبكة الإسلامية التي ترعاها وتشرف عليها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، حشد ما تيسر من قصائد المديح النبوي لاسيما (البُرَد) في موقعها على الإنترنت، باعتبار أن ذلك شكل من أشكال خدمة السيرة النبوية ونشرها وغرس حب الرسول ﷺ في النفوس والحض على اتباعه والاقتداء به .. وهذا العمل مع سائر ما ينشر في الموقع يساعد ولاشك على ترسيخ هوية المسلم وتعميق انتمائه الفكري والثقافي .. وولائه لله ولرسوله ﷺ ولدينه الحنيف الذي قال الله فيه (إن الدين عند الله الإسلام).

عندئذ عقدت العزم على كتابة هذه البردة ودعوت الله عز وجل أن يمدني بتوفيقه وأن يجعل ما يعينني على عمله وإنجازه خالصاً لوجهه الكريم ... وقد لمست بركة هذا الدعاء أثناء كتابة القصيدة .. فقد كانت تتمّ ـ والحمد لله ـ بيسر وسهولة .. إلا أن طول القصيدة التي بلغت ٣١٠ بيتاً، وضعني أحياناً أمام صعوبة في الوقوع على اللفظ المناسب للقافية .. مما حملني على استعمال بعض الألفاظ الوعرة التي قد يكون بعضها مهجوراً .. ولهذا عمدت إلى تزويد القراء بملحق خاص للمفردات ومعانيها .. في آخر القصيدة فضلاً عن تكرار بعض الألفاظ عند الاقتضاء.

وإني لأرجو الله عز وجل أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يبارك فيه، وأن يجعله أهلاً لأن تقر به عين رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، فيشملني بمحبته وصحبته يوم القيامة، وليس ذلك على الله بعزيز..

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

أحمد محمّد الصّديق
الدوحة ـ قطر

الجمعة في ١٢ رمضان ١٤٢١هـ
الموافق ٨ ديسمبر ٢٠٠٠م

البُرْدَةُ الجَدِيدَة

علّلتُ قلبي بماء الوصل وهو ظمي
والوصلُ من دونه سدٌّ من الحُرَمِ

أمضّهُ الشوقُ لكن من تعففهِ
عاف التصابي وقاءَ الشك والتُّهم

عاتبته فأبى ثم استجاب على
كُرْهٍ وقال ألا أقصِرْ ولا تلُمِ

ففي الجوانح مرعى الرِّيم مُذ خطرتْ
تمشي الهُوَيْنَى كمشْيِ الناعمِ الأتِمِ (١)

إِن جفَّ في البانِ مرعاها ففي كَنَفي
ما تشتهي من مراعي الشوقِ والهَيمِ (٢)

يسرحن فوق (شِبامٍ) دونما فزعٍ
والماءُ يشربْنَهُ من منهلٍ شَبِمِ

أما الهوى فهو صِرفٌ لا تخالطُه
شوائب الكَدَرِ المذمومِ والكَزَمِ (٤)

فقلتُ : مهلاً .. فإِن الوصل أجملهُ
ما كان للهِ في حِرْزٍ من الوَصَمِ (٥)

والنفسُ من زاد تقواها لها عِوضٌ
عمّا ترومُ مِن الأوْضارِ والوَخَمِ

نصحتُهُ .. فارْعوى .. وانقاد مُتّعظاً
وعُرْوَةُ الدين عهدٌ غير مُنْفصمِ

هيّـا نـؤمُّ رحـابَ المُصطفى صُعداً
نحو الكمالِ .. ونحو المجْدِ والكرمِ

فليس ثمّةَ إلا الطّهرُ عابقةً
أنفاسُهُ بشذا الأقداسِ في الحَرَمَ

حيثُ الحبيبُ الذي تُرجى محبتُهُ
كالشهد تُشْفى به الأبدانُ من سقَمِ

وحبّه حبُّ مَنْ بالنورِ أرسلَه
لا يَرتقي نحوه إلا ذوو الهِمَمِ

لعلّ تشملُنا بشرى شفاعتِه
في يوم عرْضٍ شديدِ الوطءِ مُزْدَحِمِ

لعل شربةَ ماءٍ من ندى يدِه
تحدو بنا نحو دارِ الخُلُدِ مِنْ أَمَمِ (٦)

حيثُ النّعيم الذي طابت مغارسُهُ
ولا تُضارعُهُ نُعمى من النِّعَمِ
حيثُ السعادةُ في أعلى مراتبِها
جلّتْ عن الوصفِ أو دقّت عنِ الكلم
هذا الكتابُ هو الهادي بشِرعته
وتلك سُنّتُهُ بحْرٌ من الحِكَم
هما جناحان للإِسلامِ ... بينهما
حلِّقْ بنورِ الهُدى في أرفع القِمم
كِلاهُما بشُعاعِ الوحيِ مؤْتَلِقٌ
يطوي الضّلالَ كطيِّ الفجرِ للظُّلَمِ
هدايةُ اللهِ للإنسان أفضلُ ما
يُعطاه .. فليُشرِق الإسلامُ في الأُمَمِ

عـدلاً .. وبـراً وإِحْـسـانًا ومــرحــمـــــةً

ورفـعـةً في سـمـــــاءِ العِلمِ والقِـيَــمِ

دنـيـاهُ مـحـرابُ تَـقـديسٍ وتـزكـيـــــةٍ

ونـحـــوَ أُخـــراه يمْضي ثابتَ القَـــدَمِ

و كـلـمـا ازداد قِـــربـانًا لغـايـتِـــهِ

حثَّ الخُطى مُسْرعًا كالسّهمِ حيثُ رُمي

ولـيـس إلا رضـــاءُ اللهِ مـطـمـعُــــهُ

ونـصْـــرةُ الحقِّ في البـأســاء والإِزَمِ (٧)

قـواعـدُ الدين أرســاهـا النبيُّ وقـــدْ

شـــبَّ الصحابةُ في روْضٍ منَ الشِّيَمِ

أحـاطـهـم بـسـيـاجٍ من عـنــايـتِـــهِ

وعـيـــنهُ حوْلـــهُمْ بالبِرِّ والرُّحـــمِ (٨)

أعدّهمْ لبناءِ المكرُماتِ على
هدي ٍمنَ اللهِ في حرب ٍوفي سَلَمَ
رهبانُ ليل ٍوفرسانٌ إذا انتُدِبوا
خاضوا الوَغى دونَ خِذْلان ٍولا سأَمِ
(عَرفْتَ فالزمْ) كذاك العلمُ مقصدُهُ
للهِ أكرمْ بذي علم ٍومُلتزِمِ
دعواك مصداقها الأعمالُ صالحةً
فجاهد النفس في صبر ٍوفي كظَم ِ(٩)
نبراسُكَ الحقُّ مِنهاجُ الرسولِ على
سناهُ فانهض إلى العلياءِ واستَقِمِ
تشعُّ أضواؤه في كلِّ ناحيةٍ
بين الخلائقِ من عُرب ٍومن عَجَم

فاقبسْ إذا شئتَ ما يُغنيكَ ملتمسًا

سبيلَهُ وبحبلِ اللهِ فاعتَصِمِ

* * *

يا يومَ مولِدِهِ شمسًا أطلَّ على

هذا الوجود كريمَ الأصلِ والرَّحِمِ

سرٌّ تنقَّلَ في الأصلابِ يحفظُهُ

ربُّ السماءِ ليومٍ خُطَّ في القِدَمِ

رأتهُ نورًا يُضيءُ الكونَ آمنةٌ

قبل الولادة يمحو حُلْكَةَ الغَسَمِ (١٠)

قالوا يتيم .. ومافي اليُتْمِ مَثْلَبَةٌ

والدُّرُّ أفضلُهُ الموصوفُ باليُتُمِ

سلوا حليمةَ ما حازتهُ منْ شَرَفٍ
إذ أرضعتهُ.. ففاضَ الخيرُ في الخِيَمِ

سلوا مَطِيَّتَها العجفاءَ إذ نشطتْ
سبّاقَةً في طريقِ الركب كالنَّسَمِ

ها همْ أُولاءِ بنو سَعْدٍ به سُعِدوا
سامتْ سوائمُهم في السَّهْلِ والأكَمِ [11]

سلوا ضُروعَ المواشي وهي حافِلَةٌ
وكمْ شكَتْ قبلُ من شُحٍّ ومنْ عَدَمِ

روحٌ مباركةٌ تلك التي نزلَتْ
ديارَهمْ فغَدَتْ سحّاحةَ الدِّيَمِ

ضَمّته في حِجْرِها واللُه آثَرَها
به وبفضْلٍ منهُ منسجِم

وبينما هُو في الأترابِ إذ هَبَطتْ

بعضُ الملائكِ في رُحْمَى بلا هَزَمِ (١٢)

شقَّتْ لهُ صدرَهُ غضًّا تطهِّرُهُ

بماءِ زمزمَ تطهيراً بغيرِ دَم

فلا سبيلَ لشيطانٍ عليهِ ولا

للجَهْلِ من بعدِها أو فِتْنَةِ الصَّنَمِ

قد صانهُ اللهُ محفوفاً بعصمتِهِ

منذُ الطفولةِ عن رجسِ الذُّنوبِ حُمي

* * *

أمّا بَحِيرا ففي أخبارِهِ عجبٌ

لّما رأى فيهِ ما يرجوهُ من سِيَمِ (١٣)

هذا الغلامُ هو الموعودُ أعرفُهُ
هو النبيُّ ولا أحتاجُ للقَسَمِ

تقولُها بلسانِ الحالِ نظرتُهُ
وقدْ تفرّسَهُ كالحاذقِ الفَهِمِ

وراحَ يسألُ عنهُ عمَّهُ وبدا
منْ فرْطِ إلحاحِهِ المَهْمومِ في رأَمِ (١٤)

إنْ شئتَ بابنِ أخيكَ الخيْرَ عُدْ عَجِلاً
واحْذرْ عليهِ يهودَ الغدْرِ واكْتَتِمِ

فلو رأتهُ يهودٌ أوْسعوهُ أذىً
وحدَّجوهُ بسَهْمِ الغادرِ الخَصِمِ

أصبتَ يا صاحبَ الدَّيْرِ العَتيقِ أجلْ
نطقتَ بالصّدقِ لم تُخطئْ ولمْ تَهِمِ (١٥)

أسفاركمْ بشَّرْت والأنبياءُ به
حتى تجلّى بوصفٍ غيرِ مُنبِهمِ
سلمانُ وابنُ سلامٍ ثم أَصْحَمَةٌ
وكلٌّ ذي حِكمةٍ بالنِّصف مُتَّسِمِ (١٦)
قد آمنوا واتَّقَوْا والحقُّ رائدُهُمْ
يسعون للفوزِ خلْف الطاهرِ العَلَمِ
أما يهودُ فقد شبّتْ سخائمهمْ
بالإفكِ والفِتَنِ النكراءِ والنِّقَمِ
يؤلِّبونَ على الإسلامِ ما فتِئوا
وينفُثونَ سُمومَ الكفْرِ كالحُمَمِ
وكلُّ أفعىً طغتْ أنيابُها قُصِمَتْ
وخابَ ما دبَّرَ الأشرارُ منْ جُرُمِ

وشـتَّتَ اللـهُ شـمـلَ الظـالمينَ بـــمـــا
خانـوا العـهـودَ ومـا داسـوا مـنَ الذِّمَـــم

* * *

يـا لـيـلـةً فـي حِـراءِ قـال قـائـلُهــــا
(اقـرأْ) فـشعَّ ومـيضُ الـوحْـــي في الظُّلَمِ
وأشـــرقـتْ جـنـبـاتُ الـكـونِ مـعـلـنــــةً
أنّ الـصـبــاحَ أتى يـا أرضُ فـابتــســـمي
إِنَّ الـقـــراءةَ مــفــتـاحُ الـعـلـومِ فــــلا
تـفـتـحْ بــــهِ غـيـرَ بـابٍ طـيّـبِ النَّســـمِ
والـعـلـمُ لـلـخَـيْـرِ والإِصـلاحِ غـايَـتُـــــهُ
عـلى الـفـضـائـلِ يـعـلــو راسـخَ الـدَّعَـمِ

فسدِّدوا العزمَ باسمِ اللهِ وانطَلِقوا

أعْظِمْ بجنْدٍ لدينِ اللهِ أو خَدَمِ

يا أمّةَ الحقِّ إنَّ الجهلَ مَنْقصةٌ

حيثُ التخلُّفُ داءُ الهُونِ والذَّمَمِ

وما لكُمْ حُجةٌ يومَ النشورِ سوى

أن تجعلوا العلمَ فيكمْ مَعْقِدَ الهِمَمِ

وأَن تُقيموا صُروحَ العلْمِ عاليةً

في اللهِ لا في غُرورِ الإثْمِ والزَّعَمِ (١٧)

* * *

أمِّيَّةُ المُصطفَى بُرهانُ مُعجزةٍ

قد ألجمتْ أدعياءَ الكفرِ باللُّجمِ

فاعجْب له وبحارُ العلمِ نابعةٌ

من قلبهِ دون قرطاسٍ ولا قَلَمِ

والوحيُ يأْتيه بالقرآن معجزةً

مُنَضَّدًا في بديع الآيِ والحِكمِ

وليس تبْلى على الأيّامِ جِدَّتُهُ

والنّورُ في دفَّتَيْهِ غيرُ منْفَصِمِ

في كلِّ يوم له سَبْقٌ يُطِلُّ به

منَ الحقائقِ والأسْرارِ في الكَلِمِ

لا تنتهي أبدًا شتّى عجائبِه

على موائدَ لا تؤذيكَ بالتُّخَمِ

أحيا به أمّةً كانت على خطرٍ

والشملُ منها شتيتٌ غيرُ ملتئمِ

مـا بين فُـرس ٍ وروم ٍ ضَـلَّ طائـرها
تلـوذُ بالوثنِ المنْصُوبِ كـالهَرمِ

والسيفُ يعملُ جزًّا بالرقابِ ولا
يني وللشَّأرِ ما للـدّاءِ من ورَمِ

تـذوي الوُرودُ ويفنَى كلُّ ذي كبدٍ
حرّى ويبقى لهيبُ الحربِ في ضَرَمِ

وليس إلا يَدُ الرحمنِ تُطفئها
إن شاءَ بعد امتلاءِ البيدِ بالرَّجَمِ (١٨)

وجاء دينُ الهُدى يمحُو بطلعتِهِ
ليلَ الضلالِ ويُذكي الروحَ في الرِّمِ

واستيقظتْ أمةٌ منْ بَعد غَفلتها
تنساحُ عبرَ فيافي التيهِ والتُّخُمِ (١٩)

ورفـرفـتْ رايـــةُ التـوحـيـدِ نـاشـــــــرةً

في الخـــــافِقْينِ نداءً للخُلودِ نُــــــمي

تَرسـمت نـهـجَـهُ نحـو العُـلا فـــــغـدَتْ

أمـثـــولـةً في عــلوِّ الـشّــأنِ والـشَّمـــــمِ

ســادتْ حـضــارتُـهـا عـلـمًـا ومـعــرفـــــةً

فـوقَ الحـضـاراتِ ذاتِ الـبَـذْخِ والـبَـشَـمِ [٢٠]

هـــذا هـــو الـديـــنُ والـدنـيـا لـهُ تـبـــــعٌ

فـإنِ عكـــــسْتَ فـقـدْ أخطأْتَ في الـنَّظَـمِ

وارتـدَّ ركـبُـكَ نـحـو الـذَّيْـلِ منتــــــكِسًا

فـــي داثـرٍ مـن رسـومِ الـدّهــرِ مُـنـهــدمِ

* * *

بوركتِ يا ليلةَ الوحْيِ المُنزّلِ في
شهرٍ مزاياهُ فاقتْ ميزةَ الحُرُمِ

وذلِكُمْ رمضانُ الخير وَهْوَ لَها
أهلٌ وهلْ مِثلهُ في البِرِّ والحُرَمِ ؟

يا هولَها ساعةً بل يا لَرَوْعتِها !
والصّخرُ يَرْتجُّ رجًّا عند مُصْطَدمِ

أما ترى المصطفى يأوي لزوجته
يبُثّها الهمَّ بثَّ الواجفِ الوَجِمِ [21]

كلاّ وربِّك قالتْ وهي واثقةٌ
مما تقولُ وثوقَ الراسِخِ العَلَمِ

كلاّ وربِّك لا يُخزْيكَ وهو يَرى
عظيمَ فضْلِكَ بين الناسِ كُلِّهِمِ

تُعينُ ذا الحاجة الملهوفَ تحملُه
كَلاًّ وتُحسِنُ للمحرُومِ والرَّحِمِ

وبالسخاوةِ تَقْري الضَّيفَ تُكْرِمُهُ
ولا تضنُّ بعوْن البائسِ الهَرِمِ

وزمَّلَتْهُ وقد شدَّت عزيمتهُ
وبشّرتهُ بما ترجُوهُ من نِعَمِ

هذا ابنُ نَوفلَ فلنطْلبْ مشورتَهُ
فإِنه ذو اطِّلاعٍ غيرُ مُتَّهَمِ

قُدّوسُ قُدّوسُ ! هذا الوحيُ حلَّ على
موسى الكليمِ فيا للرَّوع والعِظَمِ

يا ليتني كنتُ فيها يا فعًا جَذَعًا
إذ يُخرجونَك عقْباها على رَغَمِ

أمُـــخـــرجيَّ هُـمُ؟! يا لـلـسُّـؤالِ فــهــــلْ
كـــانَ الجـوابُ بـ (لا) أم كـان في (نَعَـمِ)

ولامـسَ الحُــزنُ وجـــهـًـا لا تُـلامــــســـــهُ
إلا الـسّـمـــــاحـةُ في سـيـمـاء مُـحـتـشِـم

ولاحَ كـالطَّـيـفِ من خلفِ الغُـيـوبِ غــدٌ
في لاهب ٍ مــــــن صِـراعِ الكـفـرِ مُـحتَـدِمِ

وجــاءَ جــبــريـلُ بـالقــرآنِ يـحـفِـــــزُهُ
وقْــــتُ النَّـذارة هيّـا الآن فـلْـتَـقُــــــمِ

أعلنْ على الـناسِ دينَ الحقِّ مـحـتـسـبًـا
واصـبــرْ فـأنتَ بعينِ اللهِ فـاعـتَـصـِـــــمِ

* * *

يا صـيـحَـةً فـي الـصَّـفـا أن لا إلـهَ سـوى
ربِّ الـسـمـــواتِ فـاهـتَّـزتْ ذُرى الحَـرَمِ

وصـاحَ صـائحُ أهـل الـشـركِ فـي حَـنَـقٍ
(تَبًّـا) وأدبَـرَ عنه الجـمْعُ في صَـمَمِ

بلْ أنْتَ من تبَّ مذؤومًا أبـا لَهَـبٍ
والحَيْـزَبونُ الـتـي تَغْـذوكَ بالسَّخَـمَ

يا لَلْقلوبِ إذا اشـتـدَّتْ قـسـاوتُهـا
فالمرءُ مـن جَهْـلِه الطـاّمي أصـمٌّ عـمي

يا دارةَ الأرْقـمِ الميـمـونِ حـافلَـةً
بالصـفـوةِ الـغُـرِّ كـالآسـادِ في الأجَـمِ

مـا زلـتِ مـعـقلَ إيمـانٍ ومـدرسـةً
على الـزمـانِ ورمـزاً خـالد القـيـم

وكلما حورب الإسلامُ في بلدٍ

فأنتِ للسِّرِّ مثلُ الغِمْدِ للخُذُمِ

تَقضي الضرورةُ ما تقضي به فإذا

زالتْ فدونَكَ للمَيْدانِ فاقْتَحِمِ

* * *

ماذا تريدُ قريشٌ في تنَمُّرِها

على الضِّعافِ منَ العِبْدانِ والخَدَمِ

ماذا يُضيرُ إذا ما آمنتْ وغدَتْ

أهلَ الرِّيادةِ والإحسانِ والقَدَمِ (٢٢)

وعانقتْ دعوةَ التَّوحيدِ رافعةً

لواءها وهي في العلياءِ بالسَّنَمِ (٢٣)

لكنها نفخة الشيطان تركِسُها
إلى الهلاكِ فيا لَلْجهلِ والغشَمِ

دارتْ رَحاها على أهلِ التُّقى ورمَتْ
ظَهْرَ النَّبيِّ بسهمٍ لاهبِ الضَّرمِ

وكذَّبَتْ وهي تدري صِدقَ لهجتِهِ
فهو الأمينُ الذي يسمو عن التُّهَمِ

وما رأتْ منه يومًا وهو أكرمُها
ما قدْ يَشينُ مقامَ الطهرِ من خَرَمِ (٢٤)

لَكَمْ تمادى أبو جهلٍ وطغمتُهُ
في ناقمٍ من لظى العُدوان مُضْطرمِ

وليسَ ثمَةَ إلا القهرُ يفرِضُهُ
نَهْشُ السياط وظلمُ الفاجر الحُطَم (٢٥)

سـلا الجــزور عـلاهُ وهـو مُـقـتـــــربٌ

لله ! شُلّتْ يَـدُ المُسـتـهـتـــر الـهـــكِمِ (٢٦)

جنيْتَ يا بـن مُـعيطٍ مـا جنيــــتَ فـذقْ

مـا شـــاء ربك في النيـران مـن جُـحَـمِ (٢٧)

الـشـــوكُ فـي بـابـه يُؤْذيه وهْـو عـلـــــــى

حِلْمٍ يُقـابـلُ أهْــــل الـبــغـي بـالـكَـظَـمِ

فـنُّ الـتّــحــدي إذا أتـقـنـتـــه ظـفــــــــرٌ

ولـــو رجعـــتَ من المـيـــدانِ بـالـكَـــدَمِ (٢٨)

أفـدي الحـبـيـبَ ومـا روحي مـكـافـئــــــةٌ

هـــذا الـفـداءَ لهُ لـكـنــهُ عَـشَـمــــي (٢٩)

وكـيـف لا وهـو لـلـرحـمـنِ رحْـمـتُـــــــهُ

نــــورًا مُـبينًا وَشـــــرعًا غـيـر مُنْثَلِـمِ

* * *

يا آل ياسـرَ صـبـراً إِنَّ مـوعـــدَكمْ

فـــي جنّـةِ الخُلدِ بين الحُـور والحَشَمِ

ويا بــلالُ أجــلْ ربُّ السَّـمـا أحـــدٌ

قلهـا فـــذاك نشـيـدٌ خـالدُ الرَّنـمِ (٣٠)

ويا خُـبَـيْـبُ سَنَنْتَ الركعتين لمـــنْ

يَستقبلُ المـوتَ صـبراً غير مُهتـشِمِ (٣١)

وقــفـتَ وقــفــةَ رئـبـالٍ تُـردِّدُهـــا

(لا لـن أُبالـي) قبيلَ الطَّعْنِ في الجُشَمِ(٣٢)

ويــومُ حَمـزةَ يـومُ النَّصـرِ ملـتَحِقًا

بــالركبِ يُدمي رؤوسَ الكفرِ بالسَّهَمِ

وشعْشـعتْ في قلوبِ الصّحبِ فرحتُهمْ

كبــارقٍ من جبيـــنِ الصُّبحِ مُبتسِمِ

ضـــجّـتْ حــنـاجــرُهـمْ طُـراً مُـكـبِّـــــرةً
وزُلْـــزل الـشّـــركُ مـأخـوذًا منَ الـصَّـدَمِ

إِذ جـاء من بعْده مُـسـتـهـديـًـا عُـمــــرٌ
يـكــادُ يـفْـهـقُ مـــن شـوقٍ ومن هَـيَـمِ (٣٣)

يـقـــولُ : آمــنــتُ لا عُـــزّى ولا هُـبَـــلٌ
لــــكنـهُ اللـهُ جـــلّ الـلــهُ ذو الـعِـظَـــمِ

وأنـتَ أنـتَ رسـولُ اللهِ جـئـتَ لـنــــــا
بـالــحَـقِّ من عـنـــدهِ والمنـهـــج الـتَّـمَـمِ

فـاصـفـحْ عـن الجـهْلِ إِذ طـاشتْ بـوادُرُه
إِنـــــي أتـيـتُ حـلـيـفَ الـتّـوْب والـنَّـــدمِ

أبـشِــرْ أيا عُـمـرُ الـفـاروقُ أنـتَ لـــهــا
فـــي نفــحـةٍ من دُعـاءِ المصـطفَى فـعِـمِ (٣٤)

* * *

أمـا الحـصـارُ فـمـا اسـطـاعـوا بـه تــــرَةً
هـمْ حُـوصـروا بـالـذي حـاكـوهُ من وَهَـمِ
ويومَ أن أسـرفـوا شُـقَّـــتْ صَـحـيـفـتُـهُ
بعـد العنـاءِ .. وبعـدَ الجوعِ والسَّدَمِ (٣٥)
لـكـنـه كـان تمـحـيـصًـا تُـصـاغُ بــــهِ
عزائـمُ الصِّدق عند البأسِ والقُحَمِ (٣٦)
فـلـيـسـألوا دودةَ الأرضِ الـتـي أكَـلَـــتْ
تـلــك الـصـحـيـفـةَ أكْــلَ الجـائحِ النَّهِمِ
مــا بـالُـهـا لـمْ تَـدَعْ لـلـجَـوْرِ من أثــــر
واللهُ عنــد اسمِــه كَفّتْ عن اللَّهَمِ (٣٧)
وإنمـا هـــيَ مــن جـنــدِ الإلــهِ أتــــتْ
لتـبـطـلَ الـظّـلـمَ ممـــا خُـطَّ فـي الأدَمِ (٣٨)

أخبـرتَــهـمْ وهـي غـيبٌ عــن حـكـايتـهـا

مســـتمسكًا يا رسـولَ اللـهِ بالـعِـصَـمِ (٣٩)

وداعــيًــا لـلـهُـدى فــــي كلِّ منعَــرَجِ

ولـم تُـــهـادنْ ذوي البُـهـتـانِ والدُّجَـمِ (٤٠)

ألْقـمـتَـهُم حـجـراً إذ سـاومـوك وقـــــدْ

شـمـخـتَ فـوق شـمـوخِ الطـودِ والنُّجُـمِ (٤١)

وعــاد كـلُّ كـبـيـرٍ وهـو مـنـحـــســرٌ

يـجـــــرُّ أذيـالَـه فـي ثـوبِ مُـــنْـهـزِمِ

* * *

وشـدَّدَ الـكـفـرُ والـطّـغـيـــانُ وطـأتــهُ

وضــاق رحــبُ الـثـرى عن كـلِّ ذي نـسَـم

وحَطّ جبريلُ يقتادُ البُراق دُجىً

ظَهْراً يُقلُّك للأقصى على سَعَمِ [٤٢]

ووثَّقتْ عُرْوة الإسراءِ آصرةً

متينة الحبلِ بين القدسِ والحَرم

ضمَّتْ إليك منارَ القبلتين معًا

في وحدةٍ ترفعُ الأقصى إلى القِمَمِ

كلاهُما في رقابِ المسلمينَ فلا

تفُرِّطوا واحفظوا الميثاقَ بالعُصُمِ

صلَّيتَ بالأنبياءِ الغُرِّ إذ حضروا

رمزاً لتَسْليمك الميراثَ في الأُممِ

فيا رسولَ الهدى هذا مقامُك في

صدْرِ النُّبواتِ فارفعْ قامةَ الشَّمم

أنت الإِمامُ أجلْ بل أنتَ خاتمُهُمْ
آلتْ إِليك ركابُ الدينِ بالخُطُمِ (٤٤)

وأنتَ سيِّدهُمْ في صُلب آدمَ مُذ
دانوا بعهدٍ مع الرحمنِ مُنْبرم

النّاسُ خلفكَ لو قدْ أنصفوا تبَعٌ
والحقُّ أوْلى من الأهواءِ والأضَمِ (٤٥)

إِن ضيَّقوا فالسمواتُ العُلى فُتِحتْ
رحابهُنَّ لضيفِ الواحدِ الحَكَمِ

وليتهُم ذكروا عُقبى الذين طغوا
من قبلُ أو ذكروا ما حلَّ في إِرَمِ

لو شئتَ بالأخشَبَينِ أندكَّ معقلُهُمْ
وأطبقا فوقهُ من شدَّة النِّقم

لـكـنّك الـرحــمــةُ المُـهـداةُ لوْ عــلـمـوا

فـعـنْــــك ما آثـــروا غُـنْـما لمُغتَنِـمِ

ها أنتَ عـنـد مـليـكِ العـرشِ في دعَــةٍ

فــاْهنأ بقُرْبكَ مـحفـوظـًـا مــن الإزَمِ

مِـعـراجُـك الـفـذُّ لـم تـبْـلغــــهُ خـاطــرةٌ

مــن قبْــلُ كـلا ولو في سَرحةِ الحُـلُـــم

عَـرَجْت جـسـمًـا وروحًـا وارتقـيتَ فـلـمْ

يــبـلُــغ سواكَ الـذي بُـلِّــغْتَ من سُـدُمِ

وجـئــتَـنـا بـالمَرائي وهـي أعـجـبُ مــــا

رأيتَ من صورٍ غـيـبيّــــةِ الـسِّـــيمِ

لـكـنـهــا عِــبـرٌ لـلـنـاسِ بـاقـيـــــةٌ

تـــُـزيِّـنُ الخيرَ أو تنهى عن الوَصَــــمِ

أتحفتنا بصلاةٍ في السما شُرِعتْ
هديَّةً لذوي الألبابِ والهِمَمِ

كأنَّما هي للأرواحِ مُنطَلَقٌ
في عالَمِ الفكرِ والأشواقِ والقيمِ

تسمو بقدرِ سجودِ العقلِ أنفسُنا
في رفرفٍ من خشوعِ القلبِ والهَيَمِ

دعْ ما تقوَّلَ أهلُ الشركِ من لَغَطٍ
مُكذِّبينَ ودَعْ ما ثارَ من قَتَمِ (٤٦)

فالحقُّ أبلجُ والصِّديقُ حجتُهُ
كانتْ هي الفصلُ بينَ النّورِ والظُّلَمِ

إليهمُ ارتدّ سهمٌ ضلَّ غايَتَهُ
حتى أصابَ وجوه القومِ كالنَّخَمِ (٤٧)

هـاجـرتَ لا هـربـاً بـل كُنْتَ مـــــمتـثلاً

أمـــرَ الإلـهِ ولـم تـخـضـعْ لُمهـتَـضِـــم

هـاجـرتَ والـهـجـرةُ الغـراءُ مـا انـكـشـفَتْ

إلا عـنِ النـصـرِ بـعـد الضِّـيقِ والغـمِ

إذ أبـرمـوا خُـطـةً للقـتـلِ فـانقـلـبــوا

بخـيـبـة الفـاشـل المأخـوذ بـاللَّـمَـمِ (٤٨)

عـيـونـهـم مُغـمَـضـاتٌ مـثـلُ أسـيُـفِهـمْ

في جِـفـنِهـا وعـيـونُ اللـهِ لَـمْ تَـنَـمِ

مــررتَ مـن بـيـنـهـم مـسـتـهـزئًا وحـثَـتْ

يـداك تُـرْبًا عـلى الهـامـاتِ واللِّـمَـمِ

وكـنـت في الغـارِ مـكـلـوءاً بمـا حُـجِـبَـتْ

أبـصـارُهـمْ عـنـه رغـمَ البـأسِ والزِّيَـمِ (٤٩)

وبات صاحبك الصّدّيق في ثقةٍ
بما أشرتَ فلمْ يفزَعْ ولم يَجِمِ
الله ثالثُنا وهو الذي معنا
ومن تولاّه ربُّ العرشِ لم يُضَمِ
أوْهى الخيوطِ خيوطُ العنكبوتِ غدتْ
درعًا يصدُّ جيوشَ الظّلْمِ والغَشَمِ
ها همْ يعودون ما آبتْ شراذمهُم
بعد اللُّهاثِ سوى بالخزيِ والسَّخم (٥٠)
شُعثًا ملامحُهمْ غُبرًا تؤرِّقهمْ
أوجالُهمْ ويضيقُ الصدرُ بالحَزمِ (٥١)
أعيا سراقةَ سرٌّ ليس يدركُهُ
إذ الجوادُ كبا أرضًا ولم يقُمِ

ســـاخـتْ قـــوائـمـُـــهُ والـلـهُ يـردعُـــهُ

حـتى انثنى وهـو يطوي الدربَ في وَجَـمِ

(من ها هُـنا قـد كُـفـيـتـمْ) تلك قـولـتُـهُ

للخيـــلِ أو لظهـورِ الأيـْنقِ الرُّسُـــمِ (٥٢)

ســوارُ كـســرى غــدًا لي يا لَـمـوعـــدةٍ

كـأنـــهـا حـلُـــمٌ يمـتـدُّ من حُـلُــــمِ

هـذا المطـارَدُ فـي البـيـداء أيُّ فــتـــًى

تُـراه؟ يسعى إلى العلياء في التَّهَـمِ ؟ (٥٣)

وهل سيـبلـغ ما يصـبُـو إليه غـــــدًا ؟

ودارُ كـسـرى أمـا بالـدارِ مـــــن أَرِمِ (٥٤)

مــهـلاً ســراقــةُ بـل حــقّــاً ســتـغـنـمـــهُ

المُلكُ للهِ لا لـلـــهالكِ الغَـلِــــمِ

الفاتحون على الأبوابِ آتيةٌ

زحوفُهْم كأَتِيِّ العارضِ العَرِمِ

تهوى الضياءَ شعوبٌ والطغاةُ لها

سدٌّ تطاوَلَ مثل الأُلْيُلِ البُهُمِ (٥٦)

لا يُطلعُ النورَ إلا من يُحَرِّرُها

من الضلالةِ والكُفرانِ والبَكَم

وفي الغداةِ فُلُول الرومِ لاحقةٌ

بالفرس مطرودةٌ في السهل والحزَمِ

* * *

أطيافُ يثربَ قد لاحت وفي ظللٍ

من الغمامِ تراءى الركبُ من زَممِ (٥٧)

هيـا اخـرُجـوا فِـتيـةَ الأنـصـارِ واحـتـفِلـوا

هــذا البـشـيـرُ أتـى بالخـيـرِ والرَّخَـمِ [٥٨]

وأنـزِلـــوهُ قـلـــوبًا قـبـل منـزِلـــهِ

ثـــم اسـتـعـدوا لـبـذلٍ واكـفِ الدِّيـــمِ

عـصـائـبُ الـشـركِ شـتّـى والنـفـاقُ بَـدَت

تسـعـــى أفاعيـهِ بالأنيابِ والضّغَــمِ [٥٩]

فـاثبُتْ لـهـم يا رسـولَ اللهِ مـعـتـضِـــداً

باللهِ حـتـــى يؤولَ الـكـفـرُ للهَـــدَمِ

آخـيـتَ بين بـنـي الإِسـلام فـانـعـطـفـتْ

قلوبُهـــم في وِئـــامٍ بالـغِ اللُّحـــم

وشـائـجُ الحـــبِّ والإِيمـــان تـربـطـهـمْ

فـي مـحـكـــمٍ مـن بـنـاءِ الحـقِّ ملـتـئـم

كـأنما الصـدقُ والإيثـارُ قـد نبـتـا

في روضِهِمْ كنباتِ الشِّيحِ والثَّغَمِ(٦٠)

تخللا في ثنايا الطبعِ واصطبغا

بصبغةِ الدينِ لا الأغراضِ والزَّعَمِ

زوّدتهم بسَنا القرآنِ فهو لهمْ

نهجُ الحياةِ ونهجُ الروحِ والذِّمَمِ

وأنتَ أُسوتُهمْ في كلِّ مكرمةٍ

بل أنت دستورُهم يمشي على قَدَمَ

دبّوا على الأرضِ أبدانًا محلِّقةً

أرواحُهم نحو دارِ الخُلدِ كالرَّخَمِ

تأوي إلى اللهِ بلْ ترجو الشهادةَ في

سبيلهِ فوق دنيا الزيفِ والبَرَمِ

علـى الجـيـادِ تراهـم طـــائرين إلـــــــى

غاياتِـــهـــمْ فـي جـهـــادٍ رائـــعِ الزَّخَـــمِ

داسـوا عـلـى شـهـواتِ الأرضِ مـا التـفـتـوا

إلا إلــى مُـتَـعِ الـفـــردوسِ فـي وَحَـمِ (٦١)

أنـت الـسـراجُ الذي من نـورِهِ اقـتَـبَـســـوا

حـتـــى أضـاؤوا ربـوعَ الأرضِ كـالـنُّجُـم

بـالأمـسِ كـانـوا رعـاةَ العِـيـرِ فـارتـفـعـوا

وأصـبـــحـوا بـــك أهـلَ الرَّعــيِ لـلأممِ

واجــهـت كـلَّ عـدوٍّ غـيـر مكتـــرثٍ

بمـــا يُعِــدُّ من الأفـــراسِ والـلُّجُـمِ

ومـا انـتـظـرتَ ولـكـنْ رحـتَ تـفـجــؤهُ

فـــي عَـقْـرهِ لا تُبـالـي شـدةَ الـقُـحَـمِ

وخـضـتَ بـحـراً عـتـيَّ الموجِ مـصـطـخـبًـا

مـــن القـــتـالِ بلا عـــجـزٍ ولا سـأم

والصـحـبُ خلفك في المضـمـارِ ما اقتـربوا

إلا وأنـت لـهـم في الصـدرِ كـاللُّـؤَمِ (٦٢)

تـتـرَّسـوا بكَ منْ حُـمّـى الوَطيـسِ وقـــد

تـصـــدّعَ الخـصـمُ رهنَ الخـوفِ والأوَمِ (٦٣)

والحـربُ مـشــروعـةٌ فـرضًـا إذا وجـبــتْ

ذودًا عـن الـديـنِ أو دفـــعـاً عـنِ الحُــرَمِ

ومن يُـســالمْ ذئـــاباً وهـــي تـنـهـشُـهُ

لـــنْ يسلمَ العـظمُ بعـد الجلدِ واللَّـحَـمِ

لقد كـبـحـتَ ذوي الإشـراكِ فـانـقـمـعـوا

حتـــى أصـيبـوا من التَّـوهينِ بالـكَزَمِ (٦٤)

رسـالـةُ اللـهِ لـم تنـهـضْ عـلـى فُــرُشٍ

مـــنَ الحـريـرِ ولا حـفْـلٍ مـن الـنَّـغَـمِ

وإنما فـي طـريقِ الـشـوكِ قـدْ دَرَجـــتْ

والــتـضحـيــاتُ تُـــرَوِّي نبتَهـــا بِـــدمِ

حيـثُ الشـهادةُ للتَّــمكينِ لازمـــةٌ

فـاصـدْع بصـوتِ الـهُدى والحقِّ والتـزمِ

حيث الجـهـادُ سبيلٌ ليس عنه غنـــىً

فـاصنــــعْ كـــما صنعَ الأبـرارُ وائْتَـمِـمِ

وأقبـل النـــاسُ للإسـلامِ مُـفـعَـمَـــــةً

صــدورُهـمْ بالرضى فـي غيـرِ ما عَتَـمِ (٦٥)

كـأنّمـا أُعـتـقـوا من نيـرِ مَظْـلمَــةٍ

إلـــــى فـضـاءٍ رحـيـبٍ سـابـغِ النِّـعَـمِ

دارُ السعادةِ بالأعمالِ قد رُفِعَتْ
صرحًا مُنيفًا نديّ الظلِّ والنَّسَمِ
بالأمنِ فاءت وبالإيمانِ قد عُمِرَتْ
وبالفضائلِ والخيراتِ والشِّيَمِ
حضارةٌ مبدأُ التوحيدِ جوهَرُها
ونُصرةُ الحقِّ والإصلاحُ في الأُمَمِ
الحكمُ للهِ تسمو فيه دولتُهُ
بريئةً من جُنوحِ الإثمِ والذَّأَمِ (٦٦)
الرفقُ والعدلُ والشورى ركائزُها
على المساواةِ والأخلاق والرُّحَمِ
أهلُ الكتابين كانوا أهلَ ذمَّتِنا
عاشوا على رَغدٍ في غيرِ ما هَضَمِ

وحينما دارتِ الأيامُ دورتها
ردُّوا الجميلَ بطعن الغادرِ القُصَمِ (٦٧)

ما زاغَ في ظلِّها أو شذَّ منحرفًا
سوى عليلِ النُّهى بالغيِّ مُتَّسِمِ

البذلُ أبوابُهُ في الخيرِ مُشْرَعَةٌ
ولا يضيعُ احتسابُ الأجرِ في الخِدَمِ

وكلُّ ما أهْرَقَ الإنسانُ من عرقٍ
مُنضَّدٍ كعقودِ الماسِ مُنتظِمِ

فإنَّ ذلك عنَد اللهِ مدَّخَرٌ
والغُنْمُ بالغُرْمِ مثل الغُرْم بالغُنُمِ

للفَقْرِ فيها علاجٌ ناجعٌ أبدًا
قدْ سنَّهُ اللهُ فرضًا عادل القِسَمِ

ولـم يَـجُـعْ في حــمى الإِسـلامِ غـيــر فـتــى
فــي غــيــرِ مــولاه لـم يُـفْـطِـرْ ولـمْ يَـصُــــمِ

وكـم هـنـــالـك من بِــــرٍّ مــشــوبـتـــُــهُ
تجـــــــري كـيـنـبـوعِ مــاءٍ غـيـرِ منفَـصِـمِ

وإنما الجـــوعُ جــوعُ الـنـفسِ إن فــقـــدَتْ
نـــــورَ الهـدايـةِ وانـسـاقَـتْ بــــلا زَمَـمَ

والـظـلـمُ يـحـجـبَ أرزاقَ الـعـبـاد كـمـــا
تـــأتـي المآثـمُ بـالِحـرمـــانِ فـي الخَـتَـمِ

* * *

دعْــنـي لأنـفـث مـا فـي الـصـدر من كُـربٍ
ممـــــزوجـــةٍ يـا رســــول الـلـهِ بـالألـمِ

أسائلُ النفسَ : ما بالُ الجيادِ كبتْ

في لَجْلجٍ من ضبابِ الليلِ مُنبَهِمِ

أم أنَّ أجنحةَ الفُرسانِ قد طُويت

وسامها باطلُ الخِذلانِ بالدَّكَمِ [٦٨]

يذوبُ كالملحِ قلبُ المؤمنين لما

يَرون من فِتنِ التزييفِ والنَّمَمِ

وما الحصادُ سوى هذا الركامِ وهلْ

تقومُ نهضةُ عُمرانٍ على الرُّكَمِ

كم نفحةٍ من شذا بدرٍ أردِّدُها

شعراً وأشدو نشيدَ الفتحِ ملءَ فمي

لعلني أتّقي همًّا يؤرِّقني

مما أكابدُ كالملدوغِ بالسَّمَمِ

ومـا فـشـا من هوانٍ لا يُقـاسُ بــه
إلا هـوانُ فِراخِ الطيرِ والبَهَم

ونحن مليارُ معدودٍ وأكثرُهم
بُـقيا غُثاءٍ عديمِ النفعِ منهشِمِ

ها نحن تجتاحُنا ريحٌ مُزعزِعةٌ
هبَّت علينا بداءِ العجزِ والعُقُم

كيد اليهودِ وأحقادُ الصليبِ غدتْ
حلفًا يُخيِّمُ كالكابوسِ في الحُلُم

نُمسي ونُصبحُ والأرزاءُ تُرهقُنا
كأنّ أوطانَنا تطفو على لَغَم

تُملَى المعاييرُ حتى لا سبيلَ سوى
سبيلِ منفردٍ بالأمرِ محتكِمِ

حميّةُ الدينِ قالوا تلك معضلةٌ
أما الحجابُ فذوقٌ غيرُ محترَمِ

تُخيفُهمْ صحوةٌ لاحتْ بوارقُها
ولا يخافون من بأسٍ ومن نِقَمِ

وعفّةُ النفسِ لايُعْنَى بها أحدٌ
كعازفِ النّاي في المرعى بلا غَنمِ

أما الجهادُ فإرهابٌ يُدانُ بهِ
من باعَ للهِ نفسًا غيرَ مُتَّهَمِ

ترعَى الزنادِقَ علمانيةٌ بَسطتْ
ظلالَها في ربوع الأرض كالظُّلَمِ

الفُحشُ والطعنُ في الإسلام يُتْقِنُهُ
جيشُ الخفافيشِ والغربانِ والبُهُمِ

مُـــقــدَّمــون وإنْ خــانوا وإنْ فــجَــــروا

يُـــســتَدْفـعـون إلى التَّخـريـبِ والهـدَمِ

يكـافــأونَ على الإلحــادِ حَظوتُهـــمِ

مــصــونةٌ فـي حـظـايا تلـكُـمُ النـُّظُـمِ

والمالُ مَـنْهــــبَةٌ .. والعابثــونَ بــــلا

قـــيـدٍ .. ولا رادعٍ .. كــالآكــلِ النَّهِـمِ

أمّـا الشُّعــوبُ .. ففـي الأصْفـادِ رازحـةٌ

غَـرْقَى ببـحـرٍ مــــن الأحـــزانِ مُلْتَطِمِ

الجوعُ .. والفـقـــرُ .. والحـرمانُ يُنْهِكُـها

مـاعـادَ ينفـعُ شَــــدُّ البَطْنِ بالحُــــزُمِ

وَمنْ يقــُـــلْ مَـنْهــجُ الإسلامِ فاحتكِمـوا

إليـهِ .. نالَتْـهُ أيــدي الشَّرِّ بالجَــذَمِ (٦٩)

وَالناعقونَ وراءَ الغَرْب يَحفِزُهمْ
أسيادُهُمْ لاخْتِراقِ الدّينِ والحُرَمِ

يُجدِّفونَ بلا وعْيٍ .. ولا حَذرٍ
ويَقْصُرونَ عَنِ الإتْقانِ والقُدُمِ

وكُلُّهمْ رَهْنُ جُحرِ الضَّبِّ يَجْمَعُهمْ
ووحْيُهمْ منهُ .. رغْم السُّوءِ والوَخَمِ

القُدْسُ ضاعَتْ بأيديهمْ وما ارتَدَعوا
وما أَتَوْنا بغيرِ الذُّلِّ والسَّقَمِ

يُهَرْوِلونَ .. ولَمْ يحفَلْ بهمْ أَحَدٌ
كأَنَّهمْ في سِباقٍ دونَما حَكَمِ

وكُلَّما ازدادَ طُغيانًا صهاينةٌ
لانَتْ رقابٌ لِيَان الخانعِ الهَزِمِ (٧٠)

إنّ الثعالبَ قدْ تُعدي طبائعُها
وقد يُحاكي رَعاعٌ ذِلَّةَ النَّعَمِ

كمْ في الحوادثِ والتاريخِ منْ عِبَرٍ
قد سُجِّلَتْ في كتابِ اللهِ مِنْ قِدَمِ

لعائنُ اللهِ حاقتْ باليَهودِ .. كما
حاقَتْ بهمْ حيث كانوا نِقْمَةُ الأمَمِ

في قَيْنُقاعَ تنزّى كَيْدُهُمْ شررًا
مُراغمين .. وقد بادوا بلا خُذُمِ

وفي قريظةَ نالَ الغدرُ صاحِبَهُ
بصارمٍ منْ يَدِ الجَبَّارِ مُصْطَلِمِ (٧١)

جرثومةُ الدّاء إنْ أهْمَلْتَها قَتَلَتْ
فاستأصِلِ الداءَ عند الحَسْمِ يَنْحَسِمِ

وكلٌّ راعٍ .. إذا ما عَيْنُهُ انتبهتْ

ستنتهي لُعْبَةُ الذُّؤبانِ والغَنَمِ

ويومَ خيبرَ شَقَّ الصَّخْرَ حَيْدَرَةٌ

مُزَلْزِلاً لقلاعِ الكُفْرِ والأُطُمِ (٧٢)

لو كانَ يَبرُقُ فينا ذو الفَقارِ .. لما

أَلْفَيْتَ "مَرْحَبَ" إلا بادِيَ الرَّغَمِ

وكانَ تأديبُهمْ غيرَ الذي عَرفوا

ومزَّقَتْهُمْ أُسودُ الغابِ بالأُزُمِ (٧٣)

وهَبَّتِ القُدْسُ لاستقبالِ عِزوتِها

رعْداً يُزَمْجِرُ .. لا شِلْواً على وَضَمِ (٧٤)

* * *

عفواً رسولَ الهُدى .. لا الشعرُ سوف يَفي
كلا .. ولا النــثرُ .. عنْ أُمدوحَةٍ بفمي
لولا الإطالــةُ قدْ تُــخْشى .. لفاضَ بـها
بحرُ القريضِ .. وما أمسكتُ عنْ سأمِ
أنتَ الـذي تؤنـسُ الأرواحَ سيرتُـهُ
وفي مديحِـكَ تَهيامي .. ومُغْتَنمي
(أَحْبِبْ حبيبَك هَوْناً ما ..) سِواكَ .. فَمَنْ
يُؤْثِرْ عليك حبيبًا .. باءَ بالنَّدمِ
لقَدْ وعاها .. فَجَلّاها لنا عُمَرٌ
وأصدقُ الحُبِّ إيثارٌ .. وبَذْلُ دَمِ
حسبي بأنْ يأذنَ الرّحْمَنُ لي .. فإذا
قُبِلتُ .. فَهْوَ جزائي وهْوَ مُقْتَسَمي

وإنّما بك تزْهو كلُّ قافيةٍ
تضوَّعَتْ .. كعبيرِ السَّوسَنِ الفَغِمِ
طيبُ الشّمائلِ طُرًّا .. أنتَ مَعْدِنُهُ
وأَنتَ مجمعُ .. كلِّ الفضْلِ والكَرَمِ
وأنتَ .. أنتَ إلى الخيراتِ أُسوَتُنا
وأنتَ قائدنُا للفَوزِ والشَّمَمِ
بُعثتَ بالعلْمِ والأخلاقِ .. واكتملَتْ
بك الرسالاتُ .. فالبنيانُ في تَمَم
ولا مزيدَ .. فما بعدَ الكمالِ سوى
نقصٍ .. ومَنْ رامَهُ بالعَيْبِ لَمْ يُرَمِ
وإنّما تنشأُ الآفاتُ من بِدَعٍ
مردودةٍ .. واعتقادٍ غيرِ مُنْتَظِمِ

وَلا سبيلَ لقولٍ ليس يَدْعَمُهُ

نصٌّ .. ولا حُجَّةٌ تُرجَى لِمُحتكِمِ

وقد عجبتُ لفَدْمٍ .. أَوْ رُوَيْبِضَةٍ

يعوي .. وسَيفُك صَلْتٌ غيرُ مُنْثَلِمِ

لَوْ حامَ شكٌّ منَ الدُّنيا على أحدٍ

فحَوْلَ طُهْرِكَ طولَ الدهرِ لَمْ يَحُمِ

وأنتَ فوق فُلولِ الكُفْرِ .. ما اجتمعوا

إِلا على الرِّجْسِ .. والآثامِ .. والشُّؤُمِ

لَمْ يطعَنوا أبداً إلا بأنْفُسِهِمْ

محمَّدٌ أنتَ .. فوقَ الشَّتْمِ والذَّمَمِ

* * *

يا ربِّ أَدْرِكْ .. فإنَّ الدِّينَ قَدْ وَهَنتْ
حبالُهُ .. ودعاةُ الحَقِّ في إزَمِ

أوطانُنا مُرِّغَتْ بالذُّلِّ .. وَهْيَ بلا
راعٍ يقودُ سوى للمَرْتَعِ الوَخِمِ

حيثُ الشَّقاءُ عميمٌ .. والطُّغاةُ على
خُطى عُلوجٍ أَتَوْا بالخَسْفِ والوَصَمِ

أما العَدُوُّ .. فإنَّ البَغْيَ دَيْدَنُهُ
وليسَ يشبَعُ من قَتْلٍ وسَفْكِ دَمِ

ممزَّقٌ شَمْلُنا .. والأمنياتُ غدتْ
رؤى سرابٍ .. على البيداءِ في التَّهَمِ

وربَّما أثمرتْ بعضُ المُنَى .. فخبَتْ
ظَمْأَى.. وباءَتْ عَروسُ الحُلْمِ بالأَيَمِ [٧٥]

يا ربِّ فَارْحَمْ .. وسدِّدْ رَمْيَ مَنْ نَهَضوا
لعزّةِ الدّينِ والدُّنيا على قَدَمِ

انْصُرْ لواءَ الهُدَى .. والْطُفْ بأمَّتهِ
حتى تَعودَ بِحَقٍّ خيرةَ الأُمَمِ

وأنتَ يا ربِّ أهْلٌ أنْ تُبَلِّغَنا
ما نرْتَجيهِ منَ الآمالِ والجُسُمِ (٧٦)

يا ربِّ صَلِّ وسَلِّمْ .. ما أضاءَ لنا
نجمٌ على المُصْطَفى .. أوْ هَبَّ مِنْ نَسَمِ

وأنتَ غَايَتُنَا في حُسْنِ مُبْتَدإٍ
وأنتَ غايَتُنَا في حُسْنِ مُختَتَمِ

* * *

معاني المفردات

معاني المفردات

رقم البيت	الكلمة	المعنى
١	الأتم	المبطئ في السير
١	الهوينى	الاتئاد في المشي
٢	الهَيَم	شدة العشق
٣	شبِم	بارد مستساغ . شبام : اسم جبل
٤	الكَزم	البخل
٥	الوصَم	العيب
٦	أَمم	قريب
٧	الإزم	الشدة
٨	الرُّحم	العطف والشفقة
٩	كظم	إمساك النفس عند الغضب مع الصفح .
١٠	الغَسَم	ظلمة الليل
١١	سامت سوائمهم	رعت بهائمهم
١٢	الهَزَم	الصوت والضجة
١٣	السِّيم	العلامات
١٤	الرَّأم	الحنان
١٥	لم تهم	لم تجانب الصواب

رقم البيت	الكلمة	المعنى
١٦	النِّصْف	العدل والانصاف
١٦	أصحمة	اسم النجاشي
١٧	الزّعم	الكذب . وتأتي بمعنى الطمع
١٨	الرجم	الحجارة التي توضع على القبر . وتأتي بمعنى القبر
١٩	التُّخُم	الحدود
٢٠	البَشَم	شدة الشبع ، أو التخمة
٢١	الواجف	المضطرب
٢١	الوَجِم	الساكت الفَزِع
٢٢	القدم	التقدم والرفعة
٢٣	السنم	السمو والارتفاع
٢٤	الخرم	النقص أو العيب
٢٥	الحُطم	العنيف الذي يحطم الرعية
٢٦	الهَكِم	الذي يتعرض للناس بالشر
٢٧	الجُحَم	جمع جحمة وهي النار الشديدة التأجج
٢٨	الكدم	أثر الضرب على البدن ، الرضوض
٢٩	العشم	الطمع

رقم البيت	الكلمة	المعنى
٣٠	الرَّنم	التغريد
٣١	مهتشم	منكسر
٣٢	الجشم	الصدر والضلوع
٣٣	يفهق	يمتليء حتى يتصبب
٣٤	عِمِ	بمعنى أنعم . يقال عم صباحًا . ويفيد الدعاء للمخاطب بالاستسقاء
٣٥	السدم	الحزن
٣٦	القُحم	الأمور العظام التي لا يركبها كل أحد
٣٧	اللَّهَم	الالتهام أو الأكل
٣٨	الأدَم	الجلد . والمراد رُقعة الصحيفة
٣٩	العصم	جمع عصمة وهي الحفظ ، وكل ما يُعصم به
٤٠	الدُّجم	دُجم الباطل أو الهوى : غمراته .
٤١	النجُم	جمع نجم
٤٢	سَعم	سرعة سير الإبل
٤٣	العُصُم	المراد الأيدي. والعُصُم جمع العُصْمة وهي بياض اليدين
٤٤	الخُطُم	جمع خطام وهو زمام البعير الذي يقاد به

رقم البيت	الكلمة	المعنى
٤٥	الأضم	الحقد والحسد والغضب
٤٦	قَتَم	الريح ذات الغبار الشديد ـ الظلام
٤٧	النَّخم	دفع النخامة من الصدر
٤٨	اللَّمم	الجنون
٤٩	الزِّيم	العضل والمراد قوة البدن
٥٠	السخم	السواد، وتأتي بمعنى الحقد
٥١	الحزم	الغصة التي تصيب الحيزوم
٥٢	الأينق الرسم	النوق التي تترك آثار مشيها في الأرض لقوتها
٥٣	التَّهم	شدة الحر وسكون الريح
٥٤	أما بالدار من أَرِم؟	أي : أما بها أحد؟
٥٥	الغلم	الهائج الثائر
٥٦	الأليل البُهم	الليالي شديدة السواد
٥٧	زمم	قريب
٥٨	الرخم	المحبة والمودة والإشفاق
٥٩	الضغم	العض
٦٠	الثغم	اسم نبات
٦١	الوحم	اسم لما يُشتهى

رقم البيت	الكلمة	المعنى
٦٢	اللُّؤَم	جمع لأمة وهي الدرع
٦٣	الأوَم	شدة العطش
٦٤	الكَزَم	الكزم في الأعضاء القصر والتقلص. وهو المراد هنا كناية عن العجز.
٦٥	العَتَم	الإبطاء والتأخير
٦٦	الذَّأم	العيب
٦٧	القُصَم	مثل الحُطم وهو العنيف القاسي ...
٦٨	الدّكم	الكسر
٦٩	الجذم	قطع الأصابع أو اليد والمراد التعذيب
٧٠	الهَزِم	المطيع الهيِّن
٧١	مصطَلم	من صلم أي أباد واستأصل
٧٢	الأطم	الحصون
٧٣	الأُزُم	الأنياب
٧٤	الوضَم	الخشب الذي يوضع عليه اللحم للتقطيع، والشلو : قطعة اللحم.
٧٥	الأيَم	فقدان الزوج
٧٦	الجُسم	الأمور العظام



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



سرٌ تنقل في الأصلاب يحفظه
رب السماء ليوم خُطَّ في القدم

رأته نورا يضيء الكون آمنة
قبل الولادة يمحو حلكة الغسم

قالوا يتيم وما في اليتم مثلبة
والدر أفضله الموصوف باليتم

سلوا حليمة ما حازته من شرف
إذ أرضعته .. ففاض الخير في الخيم

* * *

أُمّية المصطفى برهان معجزة
قد ألجمت أدعياء الكفر باللجم

فاعجب له .. وبحار العلم نابعة
من قلبه .. دون قرطاس ولا قلم

والوحي يأتيه بالقرآن معجزة
منضّداً في بديع الآي والحكم